٨٢٧

١٦٦٠٠

مجله	کلیة الاداب
تاریخ نشر	نیسان ١٩٦٢
شماره	العدد الخامس
شماره مسلسل	
محل نشر	بغداد
زبان	عربی
نویسنده	باقر عبد الغنی
تعداد صفحات	١٩١ - ٢٠٤
موضوع	اثر القرآن فی نثر جدید
سرفصلها	
کیفیت	
ملاحضات	

١٩١ - ٢٠٤
نيسان ١٩٦٢

أثر القرآن في شعر جرير

الدكتور باقر عبدالغني

نزل القرآن الكريم واللسان العربي قد صقلته فصاحة الاعراب ، يصوغ تجارب الحياة وأحداثها في مثل وحكمه ويفسرها في سجعة وينثرها في خطبة وينظمها في قصيدة ، وكان قد قطع دهرا من عمره الفني يخترع المعنى وينتقي اللفظ ويرسم الصورة ويثقف الاسلوب ، فلم يكن للقرآن ، ليرُي القوم اعجازه ومعجزته ، الا أن يأتيهم باسلوب لم تألفه صياغة القول عندهم من قبل ، اسلوب يدهش الفكر والذوق واللسان ، فجاء فريدا في نظم آياته ، بديعا في اداء أغراضه ، رائعا في عرض صوره ومخترعات بلاغته . له بلاغة القول الرفيع وبلاغة أخرى لم يُعرف سر رقتها وبيانها واحكامها . وله وقع الشعر في النفوس ووقع جديد يحس به السامع ولا يحدده وله موسيقى السجع ولكنه ليس من السجع المعروف وله من رقه النثر الفني وطلاوته كل ما وفره الفن للنثر من سماحة اللفظ ورقة العبارة وانسجام الرصف وراحة الفواصل واكتمال المعنى وتلاحق الافكار . وظل ، الى ذلك ، كما وصف نفسه « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا »[1] .

ولسنا هنا في سبيل الكلام عن الخصائص الفنية لاسلوب القرآن فقد عقدت لذلك دراسات عديدة منذ أن فقه العرب هذا السفر الجليل . وما زالت هذه الدراسات تتوالى وتحوم حوله دون أن تقع على سر اعجازه وبلاغته . وظل بعد طول الدرس والتحليل واختلاف الاجيال « قرآناً » لا هو شعر ولا هو نثر . انما الذي يعنينا هو موقف الادباء منه ودوره في بعث الفكر العربي وما فتحه له من دروب للمعرفة .

---

(١) سورة الاسراء ـ الآية ٨٨ .

لاشك ان الشعراء كانوا من أوائل الذين اهتموا بتدبّر القرآن ودراسته ذلك لما لهم من كفاءات فنية ومعرفة طبيعية فى فنون القول وأساليب التعبير بالاضافة الى انهم كانوا يمثلون الطبقة المثقفة التى تعنى بمثل هذه الامور والتى يهمها ان تتدارس ما يجدّ على ميدان عملها .

وليس أدل على هذا الاهتمام من كثرة الشعراء الذين اسلموا على يد الرسول الاكرم بعد أن استمعوا الى قرآنه مادةً واسلوباً .

ومن هؤلاء حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبدالله بن رواحه[٢] والزبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم[٣] وزيد الخيل بن مهلهل[٤] ولبيد ابن ربيعة[٥] وبجيْر بن زهير بن أبي سُلمى[٦] والنابغة الجعدي[٧] والنمر ابن تولب[٨] وفروة بن مسيْك[٩] والعباس بن مرداس[١٠] والمزرّد بن ضرار[١١] وغيرهم كثيرون ممن لا يتسع المجال لذكرهم .

ويبدو ان بعض الشعراء قد انكب على دراسة القرآن مأخوذا بمادته واسلوبه حتى شغل به عن مزاولة نظم الشعر فقد روى ان عمر بن الخطاب سأل لبيد بن ربيعة عما أحدثه من الشعر فى الاسلام فقال لبيد : قد أبدلني الله بالشعر سورة البقرة وآل عمران ، فزاد عمر فى عطائه فبلغ به ألفين[١٢] .

ويظهر ان هذا الانصراف الى دراسة القرآن لم يكن بدافع الرغبة الشخصية وحدها . بل ان المسؤولين كما تشير اليه الرواية ، قد عملوا على

---

(٢) الاغانى ٤/١٣٧ ـ ١٣٨ .
(٣) السيرة ٤/٢٠٦ .
(٤) نفس المصدر ٤/٢٢٤ ، الشعر والشعراء ٢٤٤ .
(٥) الشعر والشعراء ٢٣٢ .
(٦) نفس المصدر ٩١ .
(٧) نفس المصدر ٢٤٧ .
(٨) نفس المصدر ٢٦٨ ، ابن سلام ١٣٦ .
(٩) السيرة ٤/٢٢٨ .
(١٠) الشعر والشعراء ٢٥٩ .
(١١) نفس المصدر ٢٧٤ .
(١٢) ابن سلام ١١٣ .

تشجيع الناس على دراسة القرآن ومن صور هذا التشجيع ما أوصى به علي بن أبي طالب والد الفرزدق حين أتاه بابنه الشاعر الناشىء آنذاك وأخبره ان ابنه يقول الشعر فطلب اليه الخليفة أن يقرئه القرآن[١٣] .

ومهما يكن من أمر فقد انتشر القرآن بانتشار الاسلام وعمل المسؤولون ، التزاما بفروض الرسالة ، على اطلاع الناس عليه فكثر المفسرون والقراء ، وكثر حفاظه ورواة قصصه . وأصبح بالاضافة الى كونه دستورا ينظم شؤون الحياة الاسلامية ، مصدرا ضخما من مصادر الثقافة والحركة الفكرية عند العرب .

وكان الادب في شعره ونثره أشد جوانب هذه الحياة تأثرا بالقرآن[١٤] ذلك لان الشعر والخطابة كانا وسيلة العصر للتعبير عن شؤون حياته العامة ولما كان القرآن قد جاء ليقيم هذه الحياة على نمط جديد ، كان الادب بحكم دوره المذكور عنصرا من عناصر هذه التجربة .. فلم يكن له بطبيعة الامر ، أن يظل في معزل عنها . ولم يكن لاثارها أن تظهر عليه الا حين يستوي لها الامر وتقطع المرحلة الطبيعية من مراحل وجودها وهي مرحلة التثبت والاستقرار . واذا رأينا ان أثره ظل مقتصرا على خطب الخلفاء الراشدين وشعر بعض الشعراء الذين دافعوا عن الرسول الاعظم ذلك لان العرب في هذه الفترة كانوا ما زالوا في دور دراسة القرآن والاطلاع عليه غير ان آثاره ستظهر جلية واضحة في أدب النصف الثاني من القرن الاول حين بدأ دور التأثر والتمثل والاستيعاب لادب القرآن ومادته . وهذا ما سنحاول عرضه في ميدان واحد من ميادين الانتاج الادبي وهو الشعر وفي شعر شاعر من هذه الفترة وهو جرير .

ولد جرير في السنوات الاخيرة من حكم عثمان وما أن شب حتى وجد نفسه في دولة اسلامية وفي أمة تقرأ القرآن وتفسره وتقيم حياتها على ما رسمه من قواعد وما تستنبطه منه من تشريعات وأحكام . وكان كلما

(١٣) خزانة الادب ٢/٢٠٦ .
(١٤) البصير ـ عصر القرآن ٣ ، ٦٣ .

تقدم به العمر وجد نفسه فى حركة فكرية اسلامية دائمة تمثلها هذه الطوائف والشيع التى اشتجر بينها الخلاف فاشتد بينها الجدل والكلام وكل يحاول أن يصدر فى حججه ورأيه عن القرآن وكان من فضل ذلك ان اشتدت الثقافة القرآنية وبدأت الحياة العامة تصطبغ بصبغة الاسلام .

أما عن الجانب الديني من حياته الخاصة فمن المؤسف ان ليس فيما وصلنا من أخباره ما يشير الى حفظه للقرآن أو اطلاعه عليه أو اختلافه الى حلقات مفسّرية وقرّائه . ولكن بعض المؤرخين يذكرون انه كان عفيفا متديّنا وفى بعض الروايات ما يشير الى انه كان يؤدى الصلاة .. ولسنا هنا فى سبيل التأييد أو التفنيد لما خلع عليه من صفات العفة والتقوى والصلاح . وان كنا نعتقد بأنه انما كان يتظاهر بهذا ، اذ ان الذى قاله فى هجائه من فاحش القول وبذيء السب وفاضح التشهير ما لا ينسجم أهونه مع خلق الإسلام وآدابه وقيمه وتعاليمه .

وسواء كان شاعرنا متدينا أو متظاهرا بالتدين والصلاح فان ديوانه يدل على ثقافة اسلامية ومعرفة بالقرآن الكريم واطلاع على أحكامه وقصصه واسلوبه ، وتأثر بهذا الاسلوب وتقليد واضح لصياغته وأخذ واسع من ألفاظه وتعابيره . بالاضافة الى استعماله لكثير مما شاع من المصطلحات والالفاظ التى جدت مع الحياة الاسلامية .

ومن ألوان هذا التأثر بالقرآن ان الشاعر يعمد أحيانا الى ان يفرغ معنى آية أو أكثر فى بيت واحد ، مستعينا على ذلك ببعض الالفاظ التى تستعملها الآية نفسها بعد أن يغير فى صيغها ما تتطلبه الضرورات الفنية فى الصياغة الشعرية ومن أمثلة ذلك قوله :

أعطاكَ ربي من جزيل عطائه حتى رضيت فطال رغم الحاسد[١٥]

والبيت مقتبس من الآية « ولسوفَ يعطيكَ ربُّك فترضى »[١٦] وقوله :

---

(١٥) الديوان ١٦٢ .

(١٦) سورة الضحى ، الآية ٥ .

كُونوا كيوسف لما جاء اخوته واستعرفوا قال ما فياليوم تثريب[17]

والبيت تلخيص لمعنى الآيات التى تصف التقاء يوسف باخوته « قالوا أئنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد منّ الله علينا انه مَن يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين ... قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين »[18] .

وقوله :

مَنْ يُهده الله يهتد لا مضلّ له ومن أضلّ فما يهديه من هاد[19]

وهو اقتباس لمعنى الآية « من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون »[20] .

وقوله :

يُعطى كتابَ حسابه بشماله وكتابنا بأكفّنا الايمان[21]

وهو تلخيص لمعنى الآية « فأما مَنْ أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا ... وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعى ثبورا »[22] .

وقوله :

يجزيك ربُّك حسن قرضك انه حَسَنُ المعونة واسع المتفرَّض[23]

أخذه عن الآية « ان تقرضوا الله قرْضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم »[24] .

وقوله :

---

(١٧) الديوان ٥٣ .
(١٨) سورة يوسف ، الآيات ٩٠ ـ ٩٢ .
(١٩) الديوان ١٥٣ .
(٢٠) سورة الاعراف ، الآية ١٧٨ .
(٢١) الديوان ٥٧٦ .
(٢٢) سورة الانشقاق ، الآيات ٧ ـ ١١ .
(٢٣) الديوان ٣٣١ .
(٢٤) سورة التغابن ، الآية ١٧ .

أتـــم الله نعمتـــه عليـــكم وزاد الله مُلْـكَكُم تماما[25]

اشارة الى الآية « اليـــوم اكملت لـكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى »[26] .

وقوله :

مَنْ كان يمرض قلبُه من ريبةٍ خافوا عقابك وانتهى أهل النهى[27]

وقوله :

ليس البريُّ كمن يمرّض قلبـــه فأنا المشـايع قلبه لم يمرض[28]

آخذه عن الآية « والذين فى قلوبهم مرض »[29] .

وقوله :

قومٌ لهـــم خصَّ ابراهيم دعوته اذ يرفع البيت سُوراً فوق تأسيس[30]

آخذه عن الآية « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت »[31] .

والى جانب هذا نجد لونا آخر من اقتباس جرير عن القرآن وهو أن الشاعر يعمد الى آيات متعددة تتضمن افكارا من ميدان واحد فيصوغها في عدة أبيات ومن امثلة ذلك قوله فى مدح هشام بن عبدالملك حين أمر بشق أنهر من الفرات :

شققت من الفـــرات مباركات جواري قد بلغن كما تريد[32]

وسُخّرت الجبال وكن خرْساً يقطعَّ في مناكبهـــا الحديد

بلغت مـن الهنـيِّ فقلت شكراً هنـاك وسُهّل الجبـــل الصلود

بهـا الزيتـــون فى غلل ومالت عنـاقيـــد الكروم فهنَّ سود

فتمَّت فى الهنيِّ جنـان دنيـــا فقـــال الحاسدون هي الخلود

(٢٥) الديوان ٥٠٤ .
(٢٦) سورة المائدة ، الآية ٣ .
(٢٧) الديوان ٥ .
(٢٨) الديوان ٣٣١ .
(٢٩) سورة الانفال ، الآية ٤٩ .
(٣٠) الديوان ٣٢٤ .
(٣١) سورة البقرة ، الآية ١٢٧ .
(٣٢) الديوان ١٥٠ .

يقضوّن الآمال ان رأوهـــا بساتيناً يؤازرهـــا الحصـــيد
ومن أزواج فاكهـــة ونخلٍ يكون بحمله طلـــع نضيـــد

وواضح انه انما تأثر بالآيات التالية على اختلاف مواقعها :

« انا صببنا الماء صبّـاً . ثم شققنا الارض شقّـاً . فأنبتنا فيها حبّـاً . وعنبا وقضْباً . وزيتوناً ونخلاً . وحدائق غلباً . وفاكهةً وأبّاً »[٣٣] .

« فيها من كل فاكهة زوجان * ... فيهما عينان نضّاختان * ... فيهما فاكهة ونخل ورُمّان »[٣٤] .

ومثل هذا النحو ما توضحه الابيات التالية وهي من قصيدة مدح فيها معاوية بن هشام بن عبدالملك حين قضى على ثورة عبّاد الخارجي في اليمن :

قـــد كان قال أمير المؤمنين لهـــم ما يعلم الله من صدق واجهاد[٣٥]
من يهده الله يهتد لا مُضَلّ لـــه ومن أضلّ فما يهديه من هـــادِ
لقـــد تبيّن اذ غبّت أمورهم قوم الجحافيّ أمراً غبُّه بادي
لاقوا بعوث أمير المؤمنين لهم كالريح اذ بعثت نحساً على عاد
فيهم ملائكة الرحمن ما لهـــم سوى التوكّل والتسبيح من زاد
أنصار حق على بُلْقٍ مسوّمةٍ أمداد ربّك كانوا خير أمداد

وقد ضمن شاعرنا هذه الابيات معنى الآيات الآتية :

« من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون »[٣٦] .

« كذّبت عاد فكيف كان عذابي ونُذُر * انا ارسلنا عليهم ريحـــاً صرصراً في يوم نحس مستمر »[٣٧] .

« اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم ان يمدّكم ربكم بثلثة الآف من الملائكة مُنْزلين » .

---

(٣٣) سورة عيسى ، الآيات ٢٤ – ٣٠ .
(٣٤) سورة الرحمن ، الآيات ٥١ ، ٦٤ ، ٦٦ .
(٣٥) الديوان ١٥٣ .
(٣٦) سورة الاعراف ، الآية ١٧٨ .
(٣٧) سورة القمر ، الآيات ١٨ ، ١٩ .

- بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الآف من الملائكة مسوّمين »[٣٨] .

ونلاحظ ان هذا التأثر بالقرآن انما يشيع بصورة غالبة فى شعر المديح عند جرير ولعل مرد ذلك هو انه مدح خلفاء عصره وكان لهؤلاء صفة دينية باعتبارهم خلفاء الرسول الاكرم فى رعاية رسالته وكونهم قوامين على تطبيق احكام القرآن .. غير أن توليهم الخلافة كان قد تم بطريقة لم يشرع لها القرآن ولم تعرفها شورى العصر الراشدي ولهذا كثيرا خصومهم ممن يرون الرجوع الى القرآن واحكام الدين فى تقرير أمر الخلافة ومن يصلح لها .. فكان لابد لجرير الشاعر المتكسب فى مديحه من أن يستعين بالقرآن حين يمدح الامويين وحين يرد على حجج خصومهم .. فهو يتوعد المخالفين لهم بمصائر عاد وثمود :

وان أهل الضلالة خالفوكم أصابهم كما لقيت ثمود[٣٩]

واذا انتصروا على أعدائهم ، ذلك لان الله تعالى أمدهم بجنود لم يروها[٤٠] .

لاقوا بعوث أمير المؤمنين لهم كالريح اذ بعثت نحساً على عاد
فيهم ملائكة الرحمن مالهم سوى التوكل والتسبيح من زاد

اما كونهم قد صاروا خلفاء وتحملوا مسؤولية هذه الامة فانما كان ذلك ـ فى نظر الشاعر ـ بأمر من الله وتقديره ولا اعتراض على ما قدّر الله وما حكم ، قال فى عمر بن عبدالعزيز :

ان الذي بعث النبي محمداً جعل الخلافة فى الامام العادل[٤١]

وقال فى الوليد بن عبدالملك :

الله طوّقك الخلافة والهدى والله ليس لما قضى تبديل[٤٢]

---

(٣٨) سورة آل عمران الآيات ١٢٤ ، ١٢٥ .
(٣٩) الديوان ١٤٩ .
(٤٠) الديوان ١٥٣ .
(٤١) الديوان ٤١٥ .
(٤٢) الديوان ٤٧٤ .

وقال في الوليد بن عبدالملك :

ذو العرش قدّر أن تكون خليفـة مُلّكت فاعلُ على المنابر واسلم[٤٣]

على هذا النهج يمضي شاعرنا في مديحه للامويين ودفاعه عنهم فاذا تولى احدهم الخلافة كان ذلك بحكم من الله تعالى ومشيئته واذا شق نهرا فكأنما خلق جنة فيها من كل فاكهة زوجان ، واذا سيّر جيشا كانت مع الجيش ملائكة الرحمن واذا خرجت فئة عليه فستصير الى ما صارت اليه عاد وثمود . وفي هذا كله نجد شاعرنا يستمد خواطره وصوره من القرآن الكريم .

ولم يتوقف تأثر جرير بالقرآن عند باب المديح في شعره بل انه تسرب الى الهجاء ، وهو ينهج هنا على ما نهج عليه في المديح من تلخيص واقتباس للآيات التي توافق الفكرة التي يريد صياغتها شعرا ..

ومن أمثلة ذلك قوله للاخطل[٤٤] :

أدّ الجزى ودع الفخار يتغلب واخسأ بمنزلة الذليل الصاغر

وهو بهذا يردد معنى الآية « ... حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون »[٤٥] .

ويقول للفرزدق :

تخفُّ موازين الخنا ئي مجاشع ويثقل ميزاني عليهم فيرجح[٤٦]

وهو اشارة الى الآية « فأما من ثقلت موازينه * فهو في عيشة راضية * وأمّا من خفّت موازينه فأمّه هاوية[٤٧] .

ويقول في هجاء التيم :

وما اغتسلت تيميّة من جنابةٍ ولا غسلت تيْمٌ بماء ولا سدر[٤٨]

(٤٣) الديوان ٤٩٢ .
(٤٤) الديوان ٣٠٩ .
(٤٥) سورة التوبة ، الآية ٢٩ .
(٤٦) الديوان ١١١ .
(٤٧) سورة القارعة ، الآيات ٦ ـ ٩ .
(٤٨) الديوان ٢١٤ .

يشير الى الآية « ... ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا »[٤٩] .

وقوله :

قد أخرج الله قسراً من معاقلهم أهل الحصون وأصحاب المطامير[٥٠]
كم من عدوّ فجدّ الله دابرهم كادوا بمكرهم فارتدوا في بور

وهو تلخيص لمعنى الآية « واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنّها لكم وتودّون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله ان يُحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين »[٥١] .

وقوله :

كالسامريّ غداة ضلّ بقومه والعجل يُعكف حوله ويخور[٥٢]

مأخوذ عن الآيات « قال فانا قد فتنّا قومك من بعدك وأضلهم السامريّ ... فكذلك ألقى السامريّ * فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم ... »[٥٣] .

ومن اشاراته الى احكام القرآن قوله في هجاء الاخطل يعيره بدفع الجزية :

الضاربون على النصارى جزيةً وهدىً لمن تبع الكتاب ونورا[٥٤]

وقوله يشير الى قطع يد السارق :

ولو يعلم السلطان ما تفعلونه لبانت يمينٌ منكم ويمين[٥٥]

وقوله :

فقد حلّت يمينك ان امام اقام الحد واتّبع الكتابا[٥٦]

---

(٤٩) سورة النساء ، الآية ٤٣ .
(٥٠) الديوان ٢٥٧ .
(٥١) سورة الانفال ، الآية ٧ .
(٥٢) الديوان ٣٠٢ .
(٥٣) سورة طه الآيات ٨٥ ـ ٨٨ .
(٥٤) الديوان ٢٩١ .
(٥٥) الديوان ٥٩٠ .
(٥٦) الديوان ٦٣ .

ويقول لوالى البصرة عندما أمر بهدم داره عقاباً له :

فمـــا في كتاب الله تهـــديم دارنا بتهديم ماخور خبيث مداخله[٥٧]

ويقول :

والله انزل فى الـكتاب فريضـــةً لابن السبيل وللفقير العـــائل[٥٨]

ومن الطريف ان نجد شيئا من هذه الآثار القرآنية حتى فى نسيبه ومن أمثلة ذلك قوله :

ولم يـك لو رجعتِ لنـا سـلاماً مقـال فى السلام ولا حدود[٥٩]

وقوله :

قـــالت نحـــاذر ذا شذاة باســـلٍ غيران يزعم فى السلام حدودا[٦٠]

وقوله :

فهلاّ اتقيتِ الله اذ رعت مُحْرِماً سرى ثم ألقى رحله فهو هاجع[٦١]

وقوله :

ما بال جهلك بعـــد الحلم والدين وقد علاك مشيب حين لاحين[٦٢]

وقوله :

فانـــك يا أُمامَ وربِّ موســـى أحب اليَّ من صلّى وصاما[٦٣]

وتغلب على الشـاعر أحيانا بذاءة اللسان فيسيء الى شـعائر الاسلام ويجافي الذوق والحشمة بذكره لها فى مواطن يريد فيها الطعن والتجريح في خصومه فهو مثلا يريد التشهير بجدة خصمه الفرزدق فيتهمها بالتردد على قين لها ويشبه هذه الزيارات بالحج والاعتمار فيقول :

فديتـــك يا فرزدق دين (ليلى) تزور القين حجّاً واعتمـــارا[٦٤]

---

(٥٧) الديوان ٤٨٥ .
(٥٨) الديوان ٤١٥ .
(٥٩) الديوان ١٤٧ .
(٦٠) الديوان ١٧٠ .
(٦١) الديوان ٣٦٨ .
(٦٢) الديوان ٥٨٦ .
(٦٣) الديوان ٥٣٩ .
(٦٤) الديوان ٢٨١ .

ويقول فى عمة الفرزدق سكينة بنت الحتات :

قامت سكينة للفحول ولم تقـــم ... بنت الحتات لسورة الانفال[٦٥]

ودّت سكينة أن مسجد قومها ... كانت ســـواريه ••• بغـــال

ويقول فى نساء بني نميْر :

اذا قامت لغـــير صلاة وترٍ ... بُعْيد النوم أنبحت الـكلابا[٦٦]

ويقول فى أخت الفرزدق :

وقـــد دمّيت مواقـــع ركبتيهـــا ... من التبراك ليس من الصلاة[٦٧]

والى جانب هذه النماذج التى ذكرناها نجد ان شاعرنا قد استعمل فى شعره مجموعة كبيرة من ألفاظ ومصطلحات العصر الاسلامى سواء منها ما ابتدعته هـذه الحياة أو ما وجدته مستعملا فى اللغة فحمّلته معنى من معانيها فأصبح ذا صبغة اسلامية • ولما كانت الحياة الاسلامية قـــد تميزت بميدانين جديدين همـــا ميدان الحكم والياسة وميدان الدين فان أكثر ما نجده من الفاظ اسلامية فى شعر جرير يتصل بهذين الميدانين •• ولما كان ديوانه مليئاً بهـــذه المفردات سنكتفى لذلك بذكر أمثلة من كلتا المجموعتين دون ذكر الصفحات •

فمن أمثلة المفردات والمصطلحات التى تتصل بالدولة والســـياسة : الخلافة ، الخليفة ، خليفة الله ، أمير المؤمنين ، الامام ، ولى العهد ، الولاة ، السلطان ، البيعة ، ناكث البيعة ، المنافق ، المُحلّ ، المبتدع فى الدين ، البدَع ، أهل الضلاله ، المرجِف ، الخالع ، الأمّة ، البريّه ، الرّعيّة ، المؤمنون ، المنبر ، الديوان ، البريد ، جنود الله ، الجند ، الجهاد ، الشهيد ، ثغور المسلمين ، اقامة الحدّ ، اتباع الـكتاب ••• الخ •

ومن أمثلة المفردات والمصطلحات التى تتصل بالحياة الدينية الجديدة : الله ، ذو العرش ، الرحمن ، القهّار ، الغفّار ، النبوّة ، النبيّ ، رسول

(٦٥) الديوان ٤٧٠ ــ ٤٧١ •
(٦٦) الديوان ٧٣ •
(٧٦) الديوان ٨٦ •

الله ، القرآن ، الكتاب المنزل ، المفصّل ، السُوَر ، دين المسلمين ، الاسلام ، دين الهدى ، دين الحق ، سبل الهدى ، مسجد الله الحرام ، البيت العتيق ، قبلة الله ، كبّر للصلاة ، الاذان ، صلاة الوتر ، خرّ ساجدا ، التسبيح ، التوكّل ، التُقى ، الهدى الجلال ، الحرام ، حدود الله ، أقام الحدّ ، اتبع الكتاب ، والفرائض ، الجهاد ، الشهداء ، الابرار ، الملائكة ، الحواريّون ، اتباع ابليس ، فتنة الشيطان ، صلى الملائكة ، صلى الاله .. ، بارك الله .. ، مستبصر فى الدين ، المهديّ ، يوم القيامة ، المعاد ، الصراط ، جنة الفردوس ... الخ .

لقد أحدث القرآن هزّة فى الفكر العربي واساليب تعبيره وبات لاهل الرأي والثقافة مصدراً أساسيّاً فى عملهم الادبى . ولم يكن لجرير ، الشاعر الذى حفلت بذكره قصور الخلفاء وأسواق الادب وحلقات العلماء ، ان يغفله ويصدعنه . ولعل مما زاد فى اهتمامه بهذا السفر الجليل هو انه معين وضع طاقته الفنية للاسهام فى أحداث عصره ، تلك الاحداث التى كان القرآن مدارها فى ميادين الخلافة والسياسة والدين . يضاف الى ذلك ان ظروف عصره السياسية والقبليّة كانت قد دفعته الى الوقوع فى خصومة عنيفة مع شاعرين مثله شهرة ومكانة فنية ، هما الفرزدق والاخطل ، وكان الاول ، فيما يروى عنه ، ماجناً فاسقاً وكان الثاني نصرانيا ، فوجد جرير فى هاتين الصفتين مجالا للطعن فى خصميه من جهة وفرصة للظهور بمظهر المسلم التقي من جهة أخرى ، فاذا هجا الفرزدق رماه بفسقه وفجوره متقمصا هو ثياب التقى والورع . واذا برز للاخطل النصراني رماه بدينه وتكلم بلسان المسلم الذى لم يرض بغير الاسلام دينا .

ولهذه العوامل مجتمعه ، اكثر شاعرنا من ذكر القرآن والرجوع اليه وتزوّد منه بمادة لا تكاد قصيدة فى ديوانه تخلو من اشارة الى لون من ألوانها ، ومهما كانت الدوافع التى حملته على هذا ، فقد تميّز بين شعراء عصره الهجائين بروح اسلامية تبدو كأنها صادقة مخلصة .

انهم وان ذكروا القرآن وصدروا فى بعض شعرهم عن تعاليمه

وأساليبه غير انهم لم يكثروا من ذكـــره ولم يطيلوا الوقوف عنده كمـــا فعل جرير .

ويبدو ان هذه الملازمة للقرآن ، سواء في الصياغة أو المادة ، لم تفد جريرا في تثمين شاعريته ، اذ اننا لم نقف ، فيما عقد النقاد بينه وبين معاصريه من موازنات ، على ناقد يغلبّه لذهابه هذا المذهب .

لقد كان عصره عصر مديح وهجاء ونقائض . أخذت منه بيئة الحجاز نسيبه تغنيه في مجالس لهوها وترفها .

ورضيت عنه الشام اذ رأى في سراتها (خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح) .

وصفق له مربد العراق اذ وجد فيه (جرو هراش) في الهجاء .

اما هذه الاشارات الدينية فلم يغترّ بها أهل الدين والتقى ولم تكفه عندهم زكاة لنفسه ، كان يختم مجلسه بالتسبيح فيطيل . فقال له رجل : ما يُغني عنك هذا التسبيح مع قذفك للمحصنات ! فتبسم وقال : يا ابن أخي (خلطوا عملا صالحا وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم[٦٨] » .

المراجع :

١ ــ الاغاني ــ أبو الفرج ط . دار الكتب .
٢ ــ خزانة الادب ــ البغدادي ط . السلفيه .
٣ ــ ديوان جرير ــ ط . الصاوي .
٤ ــ السيرة النبوية ــ ابن هشام ط . مصطفى الحلبي .
٥ ــ الشعر والشعراء ــ ابن قتيبة ط . أحمد محمد شاكر .
٦ ــ طبقات فحول الشعراء ــ ابن سلام ط . محمود محمد شاكر .
٧ ــ عصر القرآن ــ البصير ط . المعارف .

(٦٨) الاغاني ٨/٤٤ .